

الإسلام وتنظيم الأسرة

بقلم فرزانة روى - فهيمى

تمثل هذه النظرة العامة للإسلام وتنظيم الأسرة جزءاً من سلسلة البيانات الموجزة عن السياسة التي يصدرها المكتب المرجعي للسكان بشأن الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، والتي تتناول بالتحليل الروابط بين السكان، والبيئة والصحة الإنجابية، والتنمية. وتهدف هذه السلسلة إلى زيادة المعرفة ومناقشة قضايا السكان، والصحة، والتنمية. والآراء الواردة هنا هي آراء المؤلف والأعمال التي يتم الاستشهاد بها، ولا تعكس بالضرورة آراء المكتب المرجعي للسكان أو المشرفين عليه.

ويركز برنامج العمل الذي أقره المؤتمر على التنمية البشرية ويقدم إطاراً شاملاً للحد من الزيادة السكانية وتحسين حياة البشر. ويدعو البرنامج إلى سلسلة طويلة من الاستثمارات لتحسين الصحة، والتعليم، والحقوق - خاصة للنساء والأطفال - وتوفير خدمات تنظيم الأسرة في إطار الرعاية الشاملة للصحة الإنجابية. وتتمثل التوصية المحورية للبرنامج في تعميم سبل الوصول إلى كافة وسائل تنظيم الأسرة، والأمنة والموثوق بها. ولوقف الإسلام من تنظيم الأسرة والظروف التي يمكن في ظلها ممارستها، تأثير مباشر اليوم على كيفية تحقيق الدول الإسلامية أهدافها الإنمائية، بما في ذلك أهداف المؤتمر الدولي للسكان والتنمية. ويعترف برنامج عمل المؤتمر بأن تطبيق توصياته «حق سيادى لكل دولة، بما يتماشى مع قوانينها الوطنية وأولوياتها الإنمائية، مع الاحترام التام لسانر القيم الدينية والأخلاقية، والخلفية الثقافية لشعوبها، ووفقاً لحقوق الإنسان الدولية المعترف بها عالمياً»^(٢)

المسلمون في عالم اليوم

يمثل المسلمون، البالغ عددهم ١,٢٥ مليار نسمة، نحو خمس سكان العالم. ويتباين المسلمون فيما بينهم، ويختلفون من حيث

تقوم الحكومات في سائر أنحاء العالم - بما فيها حكومات كثيرة في العالم الإسلامى - بدعم برامج تنظيم الأسرة لتمكين الأفراد والأزواج من اختيار عدد أبنائهم وتوقيت إنجابهم. وقد أدى تطور وسائل منع الحمل الحديثة، والبرامج المنسقة لتنظيم الأسرة، والاتفاقيات الدولية بشأن تنظيم الأسرة إلى إعطاء زخم جديد للمجادلات القديمة حول: هل الأفراد والأزواج المسلمون مسموح لهم باستخدام تنظيم الأسرة؟ وهل تستطيع الحكومات المشاركة في تقديم المعلومات والخدمات الخاصة بتنظيم الأسرة؟ ويلقى هذا التقرير نظرة عامة على سياسات الدول الإسلامية إزاء تنظيم الأسرة ووسائل منع الحمل الحديثة ودعمها. ويستعرض أحكام الشريعة الإسلامية والمبررات التي تجيز تنظيم الأسرة، استناداً إلى كتاب تنظيم الأسرة في التراث الإسلامى للراحل الدكتور عبد الرحيم عمران^(١).

الإطار الدولى

أصبحت برامج تنظيم الأسرة المنسقة التي توفر وسائل منع الحمل الحديثة والخدمات ذات الصلة شائعة بصورة متزايدة في سائر أنحاء العالم في السنوات الأربعين الأخيرة. وتستهدف هذه البرامج تحسين صحة النساء والأطفال، والحد من الزيادة السكانية في الدول التي تمثل الزيادة السكانية السريعة فيها عقبة أمام التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

وقد دعا المؤتمر الدولي للسكان والتنمية الذي نظمته الأمم المتحدة عام ١٩٩٤ وقمة الألفية الثانية ٢٠٠٠ للتنمية إلى تعميم سبل الوصول إلى المعلومات والخدمات الخاصة بتنظيم الأسرة. وقد أقرت الدول الإسلامية المشاركة في المؤتمر الدولي للسكان والتنمية بصفة عامة برنامج عمل المؤتمر مع التحفظ بأنها سوف تفسر وتتبنى توصيات المؤتمر وفقاً لتعاليم الإسلام - وهو موقف ضرورى للدول الإسلامية لى تنقل توصيات المؤتمر إلى مواطنيها للتطبيق.

مليون مسلم، يمثلون ١٢ في المائة من السكان. كما أن نحو ١٥ في المائة من السكان في إسرائيل مسلمون.

الأسرة ومنع الحمل

في الإسلام، تتم معالجة مسألة منع الحمل أساسا في إطار الزواج والأسرة. وباعتباره نظاما اجتماعيا، وثقافة، وحضارة، فإن الإسلام يعتبر الأسرة هي الوحدة الأساسية للمجتمع. وينظر القرآن الكريم - كتاب الإسلام المقدس والمصدر الرئيسي للشريعة الإسلامية (انظر الإطار ١) - إلى الزواج كرباط مقدس، ويعتبر أن الزوج والزوجة هما عماد تكوين الأسر. ويورد القرآن الكريم عددا من الإشارات إلى الزواج، منها:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ... ﴾

(الروم: من الآية ٢١)

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ... ﴾

(الأعراف: من الآية ١٨٩)

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ... ﴾

(النحل: من الآية ٧٢)

وتوحى هذه الآيات بأن السكينة هي أحد الأغراض المهمة للحياة الأسرية، وأنها تتحقق من خلال الزواج. كما أنه في حين أن التناسل المترتب على الزواج يحافظ على بقاء الجنس البشري، فإن العلاقات الجنسية في الزواج لا تستلزم أن تكون دائما بغرض إنجاب الأطفال. وفي هذه النقطة، يختلف الإسلام عن بعض الديانات، حيث التناسل هو الغرض الوحيد للعلاقات الجنسية. ومن وجهة النظر الإسلامية، فإنه عندما يحدث التناسل، ينبغي أن يحقق السكينة لا أن يخل بها.

وهكذا، فإن منع الحمل يساعد الأسر على تحقيق السكينة بأن ينجبوا أطفالا حينما يريدونهم وحينما يكونون مستعدين لذلك. ونظرا لأهمية الأسرة في المجتمعات الإسلامية، فإن الفقهاء من مختلف مذاهب الشريعة الإسلامية (انظر إطار ٢، صفحة ٣) ومن مختلف المواقع يعطون أهمية كبيرة لمنع الحمل.

مبررات منع الحمل في فقه الشريعة الإسلامية

يبرر فقهاء المسلمين الذين درسوا قضية تنظيم الأسرة مسألة منع الحمل بعدة طرق. فهم يقولون بصفة عامة إن الإسلام هو

نسبة المسلمين	الدولة أو المنطقة	أوروبا
٩٠٪ أو أكثر	أفريقيا تونس الجزائر جزر القمر جزر مايوت جيبوتي زانتبار السنغال الصومال غامبيا ليبيا مالي مصر المغرب موريتانيا	أوروبا أذربيجان الأردن أفغانستان الإمارات العربية المتحدة إيران باكستان البحرين تركيا جزر الكوكوس جزر المالديف سوريا طاجيكستان العراق عمان قطر قطر قطر الملكة العربية السعودية اليمن
٧٠٪-٨٩٪	غينيا النيجر	ألبانيا إندونيسيا أوزبكستان بنغلاديش تركمانستان الضفة الغربية قيرغيزيا الكويت لبنان
٥٠٪-٦٩٪	بوركينافاسو تشاد السودان نيجيريا	بروناي ماليزيا

الجنس، واللغة، ودرجة محافظتهم على دينهم. ولما كان المسلمون منتشرين في جميع أنحاء العالم، فإن البعض منهم يعيشون في دول متأثرة أو محكومة بالشريعة الإسلامية، بينما يعيش البعض الآخر في دول ذات حكومات علمانية.

ويمثل المسلمون أغلبية السكان في نحو ٤٨ دولة ومنطقة تتركز في أفريقيا وآسيا (انظر الجدول ١). وتضم إندونيسيا العدد الأكبر من السكان المسلمين في أي دولة - ١٩٣ مليون مسلم من مجموع السكان البالغ تعدادهم ٢١٩ مليون نسمة (٨٨ في المائة). وتضم الهند، ثاني أكبر دولة في العالم، نحو ١٣٠

الإطار ١

مصادر الشريعة الإسلامية

الشريعة، بالنسبة للمسلمين، هي القانون الإلهي؛ ويصبح الإنسان مسلماً بمقتضى التسليم بها، بالرغم من أنه قد لا يستطيع إدراك كل تعاليمها أو إتباع كل أحكامها. وكلمة «الشريعة» (أى القانون الإسلامى) مشتقة من جذر كلمة تعنى «الشارع». بما يوحي بأن الحياة رحلة عبر هذا العالم الزائل وأن الشريعة هي الطريق إلى الله. كما أن الشريعة بالنسبة للمؤمنين تمثل دليل العمل البشرى الذى يشمل كل أوجه الحياة البشرية. وهكذا، فإن الإسلام دين مرشد إلى العبادة، كما أنه نظام اجتماعى للحياة العامة والخاصة للمسلمين.

وتعتبر المصادر الرئيسية للشريعة هي القرآن الكريم والسنة (وهي أقوال وأفعال رسول الله ﷺ والصحابة). كما أن هناك مصدرين آخرين للشريعة يستندان إلى القرآن الكريم والسنة، وإن كانا تابعين لهما، هما: إجماع فقهاء المسلمين والقياس.

وتعتمد الدراسة الفقهية الإسلامية على سلسلة من التفسيرات أو الأحكام المستندة إلى القرآن الكريم والسنة، التي يتم الوصول إليها بعد دراسات دقيقة. ويعتبر أولئك الذين يوقفون جهودهم على دراسة القرآن الكريم والسنة والقيام بإصدار الأحكام الدينية مؤهلين لإصدار الفتاوى الإسلامية بعد وصولهم إلى المستوى المطلوب من المعرفة والمكانة العالية. ولكي يصدر الفقيه الفتوى، فإن المطلوب منه أن يضع نصب عينيه بعض المبادئ الأساسية، وهي أن الأحكام الإسلامية قد تتغير مع تغير الزمان والمكان، وأن الأحكام ينبغي أن تتخير أهون الضررين، وأن تحافظ على المصلحة العامة. ويأخذ العلماء المسلمون في اعتبارهم هذه المبادئ عندما يناقشون القضايا المتعلقة بتنظيم الأسرة واستخدام وسائل منع الحمل.

وحيث إنه لا توجد سلطة عليا وحيدة في الإسلام لتقديم تفسير جامع مانع للعقيدة، فإن هناك خلافات حقيقية في الرأى، تشمل الخلافات المتعلقة بتنظيم الأسرة ومنع الحمل، والتي تفرق مذهباً فقهياً عن الآخر (انظر الإطار ٢، صفحة ٤). ولذلك، فإن هناك تباينات في التفسير وخلافات في الرأى داخل كل مذهب، حيث يمكن لأقلية من علماء الدين أن تعبر عن آراء وأن تصدر فتاوى تختلف عن رأى الأغلبية في مذهبهم وتتطابق مع آراء المذاهب الأخرى. وبعبارة أخرى، فإن الحقيقة ليست حكراً على مذهب بعينه. ويستطيع المسلمون النظر في الآراء المختلفة وليس تقييد أنفسهم بمذهب واحد في جميع الأوقات.

المصادر: Abdel Rahim Omran, *Family Planning in the Legacy of Islam* (London: Routledge, 1992); and Seyyed Hussein Nasr, *Ideals and Realities of Islam* (Chicago: ABC International Group, 2000).

وبعد استعراض مختلف مصادر الشريعة الإسلامية، وضع الدكتور عمران قائمة بالمبررات التي تتفق وتعاليم الإسلام لاستخدام منع الحمل. ويجوز للمسلمين استخدام منع الحمل من أجل:

- تجنب المخاطر الصحية للطفل الرضيع الناجمة عن «تغير» اللبن لدى الأم الحامل؛
- تجنب المخاطر الصحية للأم، والتي قد تنتج عن الحمل المتكرر، والفترات الفاصلة القصيرة للولادات، أو صغر السن؛
- تجنب الحمل بالنسبة للزوجة المريضة بالفعل؛

دين الاعتدال ويشيرون إلى مبادئ «الإباحة» أو «السماحة» في الإسلام - أى أن كل شىء مباح، إلا في حالة ورود نص صريح مخالف في القرآن الكريم أو السنة.

والقرآن الكريم لا يحرم تحديد النسل، كما أنه لا يمنع الزوج أو الزوجة من تباعد فترات الحمل أو تحديد عددها. ولذلك، فإن أغلب فقهاء المسلمين يرون أن تنظيم الأسرة مباح في الإسلام. ويقول هؤلاء الفقهاء إن سكوت القرآن الكريم عن قضية منع الحمل ليس بسبب إغفال الله لها، حيث إنه «العليم» بكل شىء، وإن الإسلام كما هو معروف ليس محدوداً بزمان معين. كما يشير المؤيدون لتنظيم الأسرة أيضاً إلى أن العزل كان يمارسه الصحابة في أيام رسول الله. ويتفق غالبية علماء الدين من كافة المذاهب الإسلامية تقريباً على أن العزل جائز بموافقة الزوجة. وللزوجة في الإسلام الحق في المتعة الجنسية والإنجاب على السواء. (وقد يرى بعض الفقهاء أن القذف لازم للمرأة كي تصل إلى ذروة لذة الجماع، ومن ثم فإنه من الضروري الحصول على موافقة الزوجة مسبقاً قبل ممارسة العزل).

وينتهى الدكتور عمران إلى القول بأن «الإسلام بجميع تشريعاته ونظمه يلتزم بالعقل ويحافظ على الانسجام مع فطرة الإنسان، ولا يتوانى مطلقاً عن إبداء رحمته الواسعة بكل الناس، ولا يسعى أبداً إلى فرض أعباء لا يطيقونها أو قيود لا يستطيعون احتمالها». ويستشهد الدكتور عمران بصفة خاصة بالآيات التالية من القرآن الكريم:

﴿... يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ...﴾

(البقرة: من الآية ١٨٥)

﴿... وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُم فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ...﴾

(الحج: من الآية ٧٨)

﴿... يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُم وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ...﴾

(النساء: ٢٨)

وهكذا، يتعاطف الإسلام مع تنظيم الأسرة إذا كان تباعد فترات الحمل وتحديد عدده يجعل المرأة أكثر لياقة بدنية والرجل أكثر يسراً من الناحية المالية، خاصة أن مثل هذه الأعمال لا تخالف أى نص من القرآن الكريم أو السنة. وإذا كانت كثرة الإنجاب تؤدي إلى مخاطر صحية مؤكدة للأمهات والأطفال، أو إلى مصاعب اقتصادية وضيق مالى للأب، أو إلى عدم قدرة الآباء على تنشئة أبنائهم بصورة سليمة، فإنه يرخص للمسلمين بتنظيم إنجابهم بالطريقة التي تحد من مصاعبهم.

مذاهب الفقه الإسلامي

تسمى مدارس الفقه الإسلامي بـ «المذاهب»، وتعني «السبل» أو «الطرق». وتمثل المذاهب طرقا مختلفة لتفسير الإسلام؛ وهي ليست ديانات، أو طوائف، أو ملل مختلفة مثلما هو الحال في الديانة المسيحية. وتعتبر جميع مذاهب الفقه الإسلامي القرآن الكريم والسنة مصدريها الأولين. وهي تختلف فقط فيما يتصل ببعض التفسيرات، وفي مدى صحة المصادر الفقهية الأخرى، وفي طرق صياغة الأحكام.

وينقسم المسلمون أساسا إلى سنة وشيعة. وهناك مجموعتان أخريان من المسلمين، هما الخارجية والظاهرية، وعددهما قليل جدا، ويعيشون في عمان، والجزائر، وليبيا، وتنزانيا.

المذاهب السنية

تتنتمي الغالبية العظمى من المسلمين في عالم اليوم إلى المذاهب السنية في الفقه الإسلامي؛ وهم منتشرون في سائر أنحاء العالم الإسلامي. وقد أطلق عليهم اسم السنة لأنهم يتمسكون بسنة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، التي تشمل أقواله، وأفعاله، أو القبول الضمني بهما. ومع أن السنة يكونون محبة شديدة لذرية رسول الله وآله، خاصة على بن أبي طالب رضى الله عنه وأرضاه وابنه الحسين (حفيد رسول الله)، فإنهم لا يعظمونهم، ولا يقصرون الإمامة عليهم وحدهم، مثلما يفعل الشيعة.

وهناك أربعة مذاهب سنية، تعرف كل منها باسم مؤسسها، وهي:

- **المذهب الحنفي**. يوجد أتباعه في معظم أنحاء العالم الإسلامي. وقد كان المذهب الحنفي هو المذهب الرسمي للدولة العباسية - التي حكمت العالم الإسلامي من العراق طوال الفترة من عام ٧٥٠ إلى ١٢٥٨ ميلادية - وكذلك الدولة العثمانية.

- **المذهب المالكي**. انتشر أتباع هذا المذهب في شمال أفريقيا، والحجاز والأندلس (أسبانيا العربية). وينتشر أتباعه حاليا في غرب أفريقيا، وغرب السودان.

- **المذهب الشافعي**. ينتشر أتباعه في غالبية أنحاء العالم الإسلامي، خاصة في مصر، والعراق، وسوريا، وشرق أفريقيا، والسودان، وأجزاء من آسيا.

- **المذهب الحنبلي**. يعتبر أتباعه أقل عددا بالمقارنة بأتباع المذاهب السنية الأخرى، ولكنهم منتشرون بنفس درجة انتشار المذاهب الأخرى. وقد اتخذوا مركز تجمعهم في مصر وسوريا.

المذاهب الشيعية

الشيعية (وهي تعني «التابعين» أو «الأنصار») هم أنصار الإمام علي، ابن عم رسول الله وزوج ابنته. وقد بدأت حركة الشيعة في القرن الأول الهجري (بعد هجرة الرسول في عام ٦٢٢ ميلادية من مكة إلى المدينة). وهم يتفقون مع بقية المجتمع الإسلامي في جميع القضايا باستثناء قضية الإمامة. ويعتقد الشيعة أن الإمامة ينبغي أن تكون مقتصرة على ذرية الإمام علي من فاطمة ابنة رسول الله.

والمذاهب الشيعية الرئيسية المعاصرة هي:

- **الزيدية**. نشأت عنها مجموعتان، تقيم المجموعة الأكبر منهما في المناطق الشمالية من اليمن، والمجموعة الأصغر في إيران، خاصة الجزء الشمالي من منطقة بحر قزوين.

- **الإمامة الاثنا عشرية**. يسمى أتباع هذا المذهب بالاثنا عشرية لأن لهم ١٢ إماما، يعتقدون أن الإمام الثاني عشر منهم قد اختفى وسوف يعود. وهي تضم أكبر الجماعات الشيعية، التي توجد أساسا في إيران، والعراق، وسوريا، وجنوب لبنان، والبحرين، والكويت، وباكستان، وأفغانستان، والهند.

- **الإسماعيلية**. يقصر المذهب الإسماعيلي (أو السبعية) الإمامة على ذرية إسماعيل، ابن جعفر الصادق، الإمام الشيعي السادس. (وتعطي الاثنا عشرية الإمامة لابنه الآخر، موسى الكاظم). وقد أسس الإسماعيليون عدة دول، منها الدولة الفاطمية في مصر حيث بنوا مدينة القاهرة والجامع الأزهر في عام ٩٦٩ ميلادية. وبالرغم من استمرار حكم الشيعة ٢٠٠ عام، فإن مصر بقيت سنية. وأصبح الأزهر منذ ذلك الحين قلعة الإسلام الحنيف، خاصة المذهب السني. وفي عام ١٨١٧، خلع شاه إيران على الإمام الإسماعيلي لقب «أغاخان». ويتركز أتباع هذا المذهب حاليا في أفريقيا، خاصة في تنزانيا وتنزانيا، وكذلك في إيران، وباكستان، والهند.

المصادر: Abdel Rahim Omran, *Family Planning in the Legacy of Islam* (London: Routledge, 1992); and Seyyed Hossein Nasr, *Ideals and Realities of Islam* (Chicago: ABC International Group, 2000).

■ تجنب انتقال المرض من الآباء إلى أبنائهم؛

■ المحافظة على جمال الزوجة ولياقتها البدنية، ومن ثم استمرار استمتاع زوجها بها وضمان حياة زوجية أكثر سعادة، وبقاء الزوج مخلصا لها؛

■ تجنب المضاعفات الاقتصادية الناجمة عن رعاية أسرة كبيرة، مما قد يدفع الآباء إلى اللجوء إلى أنشطة غير قانونية أو إرهابهم في كسب العيش؛

■ توفير التعليم، والتنشئة السليمة، والتربية الدينية للأطفال، الأمر الذي يكون أكثر فائدة بالنسبة للأطفال الأقل عددا؛

■ تجنب خطر تحول الأطفال عن الإسلام في أراضى الأعداء؛

■ تجنب إنجاب الأطفال في أوقات الانحطاط الديني؛ و
■ التمكن من اتخاذ ترتيبات للنوم المنفصل للبين والبنات عند وصولهم إلى سن البلوغ، الأمر الذي يكون أكثر فائدة بالنسبة للأطفال الأقل عددا.

ويشكك بعض المسلمين في المبررات الاقتصادية لتنظيم الأسرة على أساس أنها تتناقض مع المعتقدات الإسلامية عن التوكل على الله والرزق. ويذكر الدكتور عمران أن الفقهاء لم يجدوا مثل هذه العلاقة مما يجعل المبررات الاقتصادية أمرا مشروعا.

وفيما يتعلق بالمبرر الصحي لتنظيم الأسرة، كتب الدكتور عمران يقول، « إن تجنب المخاطر التي تواجه صحة الأمهات والأطفال من جراء تكرار الحمل يمثل أكثر الأسباب شيوعا لقبول منع الحمل في الشريعة الإسلامية». ويفسر فقهاء الشريعة الآية الواردة في القرآن الكريم بشأن إرضاع الأطفال لبن الأم حولين كاملين، وتحذير رسول الله من الحمل في فترة الرضاعة بأنها بمثابة ترخيص لتباعد فترات الحمل. وبدلا من تجنب الجماع طوال سنتين كاملتين، وهو ما يمثل مشقة شديدة على الزوجين، فإنه يمكنهما استخدام وسائل منع الحمل.

ويفترض فقهاء الشريعة الذين يرون أن الإسلام يجيز منع الحمل أن تكون الوسيلة آمنة وأن تكون ممارستها لأسباب مقبولة. ومثال ذلك أن الإسلام لا يجيز استخدام منع الحمل لتجنب إنجاب الإناث. كما تجدر ملاحظة أنه بينما ترى الغالبية العظمى من علماء الدين أن منع الحمل جائز في الإسلام، فإنهم غالبا ما يقصرون ممارسته على الوسائل المؤقتة لتنظيم الأسرة. وقد أبدت الغالبية الساحقة من علماء الدين ممن يوافقون على استخدام وسائل منع الحمل الحديثة بعض التحفظات بشأن الوسائل الدائمة لتعقيم الإناث والذكور. ويرى العلماء

المعارضون للتعقيم كوسيلة لتنظيم الأسرة أن هذه العملية تعد تدخلا في إرادة الله ومحاولة لتغيير ما خلقه الله. ولا يوافق بعض الناس على تعقيم الرجال بصفة خاصة استنادا إلى قياسه الخاطئ بعملية الخصى الذي تحرمه السنة.

المعارضة لتنظيم الأسرة

يعارض عدد قليل من فقهاء المسلمين وجماعات إسلامية أخرى تنظيم الأسرة واستخدام وسائل منع الحمل بصفة عامة لسببين. الأول، أنهم يعتقدون أن العزل أو أى عملية أخرى لمنع الحمل تعد بمثابة قتل للأجنة، وهو ما يتكرر إدانته وتحريمه في القرآن الكريم. والثاني، أن معارضى تنظيم الأسرة، سواء كانوا فقهاء أو غير فقهاء، يعتقدون أنه كلما زاد عدد المسلمين، وارتفع معدل نموهم، قويت شوكتهم. ويرى هؤلاء المعارضون أن الدين يحض على زيادة النسل وأن عدم تحقيق ذلك يعد انحرافا عن الطريق القويم للدين. وهم يجدون ما يؤيد وجهات نظرهم ليس فقط في القرآن الكريم وإنما أيضا في سنة رسول الله. ومن ثم، فإنهم يعارضون تنظيم الأسرة، خاصة إذا أصبح سياسة للمجتمع أو الحكومة. كما أنهم يرون أن برامج تنظيم الأسرة، باعتبار أنها نشأت في الغرب، تمثل مؤامرة للحد من عدد المسلمين وتقليص قوتهم.

وليس من غير الشائع أن تصبح برامج تنظيم الأسرة مسييسة في المجتمعات الإسلامية. ففي التاريخ الحديث، تعمل جماعات المعارضة في عدد من الدول على رفض برامج حكوماتهم المنسقة لتنظيم الأسرة كحركة سياسية تستخدم الإسلام في تدعيم موقفها. ويبين التاريخ أن التوجهات العملية هي التي تسود في نهاية الأمر. وعلى سبيل المثال، فإنه في غضون أيام من الثورة الإسلامية في عام ١٩٧٩، قام زعماء إيران الجدد بإلغاء برنامج تنظيم الأسرة في البلاد على أساس أنه مؤامرة غربية. غير أنه بعد مرور عشر سنوات، وبينما كانت البلاد تناضل من أجل توفير الاحتياجات الأساسية لشعبها المتنامي، عكست حكومتها الإسلامية اتجاه سياستها، وأسست واحدا من أنجح برامج تنظيم الأسرة في العالم النامي. (غير أنه تجدر ملاحظة أنه طوال السنوات العشر الأولى بعد الثورة والتي لم يكن يوجد فيها برنامج منسق لتنظيم الأسرة في إيران، لم تكن الحكومة تحظر الوصول إلى خدمات تنظيم الأسرة، وكانت تلك الخدمات متاحة في العيادات الخارجية العامة كجزء من نظام الرعاية الصحية الشاملة في إيران).

كما عكست الجزائر اتجاه موقفها من تنظيم الأسرة. ففي المؤتمر العالمي للسكان عام ١٩٧٤، كانت الجزائر ضمن الدول

قليلًا في السنوات الأخيرة ليزيد من ٢١ في المائة عام ١٩٩٧ إلى ٢٣ في المائة عام ٢٠٠٣ بين النساء المتزوجات. وفي عام ١٩٩٧، أفاد ثلثا النساء اليمنيات اللاتي لا يستخدمن وسائل منع الحمل أنهن لا يعتزمن استخدامها في المستقبل. وكان السبب الأكثر شيوعًا الذي قدمته هو الرغبة في الحمل (٢٣ في المائة)، يليه التحريم الديني لتنظيم الأسرة (١٧ في المائة)، ثم معارضة الأزواج (٩ في المائة). وتتميز اليمن بأعلى معدلات الإنجاب في المنطقة وكذلك بأعلى معدلات الوفيات للأطفال والأمهات.^(٥)

وغالبًا ما تعمل الحكومات التي تطبق برامج منسقة لتنظيم الأسرة، مثل مصر وإيران، على إشراك كبار رجال الدين في حملاتها لتنظيم الأسرة. ومصر هي موطن الجامع الأزهر وجامعة الأزهر - وهما مركزا التعليم الإسلامي. ويصدر هذان المركزان بصفة منتظمة الفتاوى المؤيدة للأساليب الحديثة لمنع الحمل، وهي فتاوى تستفيد منها الحكومة المصرية في حملاتها الناجحة لتنظيم الأسرة. كما أن وسائل منع الحمل متاحة في مصر في جميع مرافق الرعاية الصحية الأولية الحكومية، ولكن العوامل الثقافية لا تزال تلعب دورها في الحيلولة دون وصول كثير من الأزواج المصريين إلى خدمات تنظيم الأسرة.

وفي إيران، فإنه منذ عودتها إلى تطبيق خطتها القومية لتنظيم الأسرة، دأبت وزارة الصحة والتعليم الطبي في طهران على إرسال الفتاوى بانتظام إلى مكاتبها الإقليمية ومنها إلى المستويات الأدنى من الشبكة الصحية لإزالة أي شكوك قد تراود مقدمي الخدمة الصحية أو المستفيدين منها والتي تجيز استخدام وسائل منع الحمل في الإسلام. وعادة ما تعتمد العيادات الصحية على عرض الفتاوى في أماكن بارزة لكي يراها المترددون عليها. وليس التماس الفتاوى بشأن تنظيم الأسرة حكرًا على وزارة الصحة في طهران. ولكن يمكن الحصول على الفتاوى الخاصة بتنظيم الأسرة من رجال الدين المحليين أيضًا.

وتستخدم ٧٤ في المائة من النساء المتزوجات في إيران حالياً وسائل منع الحمل - وهي أعلى نسبة في الدول الإسلامية، وتضاهي دولاً مثل فرنسا والمملكة المتحدة. كما تتميز إيران عن دول إسلامية أخرى بأنها استطاعت سد الفجوة بين النساء في الريف والحضر بالنسبة لاستخدام الأساليب الحديثة لمنع الحمل - حيث تستخدم ٥٥ في المائة من النساء المقيمات في المناطق الريفية والحضرية الإيرانية إحدى الوسائل الحديثة. ويوفر برنامج تنظيم الأسرة في إيران جميع وسائل منع الحمل - بما في ذلك تعقيم الإناث والذكور - مجاناً. ويعطى البرنامج أولوية لإشراك الرجال في تحمل نصيبهم من المسؤولية فيما يتعلق بمنع الحمل.^(٦)

التي عارضت برامج تنظيم الأسرة بدعوى أنها مؤامرة إمبرالية تهدف إلى تقليص شعوب العالم النامي. غير أن الحكومة الجزائرية تبنت فيما بعد، كجزء من خطتها القومية للتنمية، سياسة سكانية تشجع على تنظيم الأسرة.

دعم الحكومات لتنظيم الأسرة

لا تقيد أية حكومة في أية دولة إسلامية بصورة إيجابية الوصول إلى المعلومات والخدمات الخاصة بتنظيم الأسرة، وذلك وفقاً لتقرير الأمم المتحدة عن السياسات السكانية في العالم عام ٢٠٠٣. وتقوم إدارة السكان بالأمم المتحدة بانتظام منذ أوائل السبعينيات بإرسال استبيانات إلى الحكومات في سائر أنحاء العالم عن آرائها وسياساتها المتعلقة بالسكان. وفي ردها على استبيان عام ٢٠٠٣، أكدت الغالبية العظمى من الدول الإسلامية أنها تدعم خدمات تنظيم الأسرة، سواء كان ذلك من خلال المنافذ الخاضعة للإشراف الحكومي أو بصورة غير مباشرة من خلال دعم الموارد غير الحكومية (انظر الجدول ٢).^(٣)

وفي الدول الإسلامية، كما هو الحال في أماكن أخرى من العالم، يجرى عادة توفير خدمات تنظيم الأسرة كجزء من الرعاية الصحية للأمهات والأطفال والرعاية الصحية الأولية. وترى الحكومات أن دورها في توفير المعلومات والخدمات الخاصة بتنظيم الأسرة ليس مشروعاً فقط ولكنه ضروري لتحسين صحة الأمهات والأطفال بمنع الحمل غير المنظم. وتبين كثير من الشواهد أن الأطفال الذين تنجبهم أمهات تقل أعمارهن عن ٢٠ سنة أو تتجاوز ٣٥ سنة يواجهون مخاطر صحية أكبر. كذلك، فإن الأطفال الذين تتباعد فترات ولادتهم من ثلاث إلى خمس سنوات تكون فرصتهم في البقاء على قيد الحياة حتى سن الخامسة أكبر بمقدار ٢,٥ مرة من الذين تقل فترات تباعد ولادتهم عن سنتين.^(٤)

ويمثل دور الحكومة أهمية خاصة في إزالة العوائق الاقتصادية لتنظيم الأسرة، وذلك بالعمل على توفير وسائله مجاناً أو بأسعار مدعومة للأسر محدودة الدخل والتي قد لا يمكنها بدون ذلك تحمل نفقاته. كما تستطيع الحكومات أن تلعب دوراً مهماً في إزالة العقبات الاجتماعية والثقافية من خلال نظام التعليم ووسائل الإعلام، حيث إن المعتقدات الثقافية والدينية يمكن أحياناً أن تمنع الأزواج من استخدام الخدمات الصحية. وهناك نسبة كبيرة من النساء اليمنيات، على سبيل المثال، يعتقدن أن الإسلام يحرم استخدام وسائل منع الحمل. ويمثل استخدام وسائل منع الحمل في اليمن أدنى مستوى في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وقد تغير معدل استخدامها

الخصوبة، واستخدام وسائل منع الحمل، والآراء الحكومية بشأن الخصوبة حالياً، والسياسات الخاصة بالوصول إلى الوسائل الحديثة لمنع الحمل في دول تصل فيها نسبة المسلمين إلى ٥٠ في المائة أو أكثر

السياسة الخاصة بالوصول إلى وسائل منع الحمل	الرأى بشأن المستوى الحالى للخصوبة	نسبة المتزوجات بين ١٥-٤٩ سنة اللاتي يستخدمن وسائل منع الحمل		إجمالي معدل الخصوبة*	
		وسائل حديثة	جميع الوسائل		
دعم مباشر	مرض	١٢	٥٥	١,٨	أذربيجان
دعم مباشر	مرتفع جدا	٤١	٥٦	٣,٧	الأردن
دعم غير مباشر	مرض	٤	٥	٦,٨	أفغانستان
دعم مباشر	مرض	٨	٧٥	٢,١	البنان
لا دعم	منخفض جدا	٢٤	٢٨	٢,٥	الإمارات العربية المتحدة
دعم مباشر	مرتفع جدا	٥٧	٦٠	٢,٦	إندونيسيا
دعم مباشر	مرض	٦٣	٦٨	٢,٩	أوزبكستان
دعم مباشر	مرتفع جدا	٥٦	٧٤	٢,٠	إيران
دعم مباشر	مرتفع جدا	٢٠	٢٨	٤,٨	باكستان
دعم مباشر	مرض	-	٦٥	٢,٧	البحرين
لا دعم	مرض	-	-	٢,٣	بروناي
دعم مباشر	مرتفع جدا	٤٣	٥٤	٣,٣	بنغلاديش
دعم مباشر	مرتفع جدا	٩	١٤	٦,٢	بوركينا فاسو
لا دعم	مرض	٦٣	٦٨	٢,٩	تركمانستان
دعم مباشر	مرتفع جدا	٢٨	٦٤	٢,٥	تركيا
دعم مباشر	مرض	٢	٨	٦,٦	تشاد
دعم مباشر	مرتفع جدا	٤٩	٦٠	٢,٠	تونس
دعم مباشر	مرتفع جدا	٥٠	٦٤	٢,٥	الجزائر
دعم مباشر	مرتفع جدا	١٩	٢٦	٦,٨	جزر القمر
دعم مباشر	مرتفع جدا	٣٢	٤٢	٣,٧	جزر المالديف
دعم مباشر	مرتفع جدا	-	-	٥,٩	جيبوتي
دعم مباشر	مرتفع جدا	٨	١١	٥,١	السنغال
دعم مباشر	مرتفع جدا	-	-	٥,٤	السودان
دعم مباشر	مرض	٣٢	٤٩	٣,٨	سوريا
دعم غير مباشر	مرض	٨	١١	٥,١	الصومال
دعم مباشر	مرتفع جدا	٢٧	٣٤	٣,١	طاجيكستان
دعم مباشر	مرض	-	-	٥,٠	العراق
لا دعم	مرتفع جدا	١٨	٢٤	٤,١	عمان
دعم مباشر	مرتفع جدا	٩	١٠	٥,٦	غامبيا
دعم مباشر	مرتفع جدا	٤	٦	٦,٠	غينيا
دعم مباشر	مرض	٣٢	٤٣	٤,٠	قطر
دعم مباشر	مرض	٤٩	٦٠	٢,٦	قيرغيزيا
دعم غير مباشر	مرض	٣٩	٥٢	٤,٠	الكويت
دعم غير مباشر	مرض	٤٠	٦٣	٣,٢	لبنان
لا دعم	مرض	٢٦	٤٩	٣,٦	ليبيا
دعم مباشر	مرتفع جدا	٦	٨	٧,٠	مالي
دعم مباشر	مرض	٣٠	٥٥	٣,٣	ماليزيا
دعم مباشر	مرتفع جدا	٥٧	٦٠	٣,٢	مصر
دعم مباشر	مرتفع جدا	٥٥	٦٣	٢,٥	المغرب
دعم غير مباشر	مرض	٢٩	٣٢	٤,٨	المملكة العربية السعودية
دعم مباشر	مرض	٥	٨	٥,٩	موريتانيا
دعم مباشر	مرتفع جدا	٤	١٤	٨,٠	النيجر
دعم مباشر	مرتفع جدا	٨	١٢	٥,٧	نيجيريا
دعم مباشر	مرتفع جدا	١٠	٢١	٧,٠	اليمن

*متوسط عدد الأطفال المولودين لامرأة واحدة إبان حياتها. - = غير متاح.

المصادر: PRB, 2004 World Population Data Sheet; United Nations, World Population Policies, 2003; and UNFPA, UNICEF, Statistical Center of Iran, and the Iranian Ministry of Health and Medical Education, Population and Health in the Islamic Republic of Iran—DHS, October 2000.

على استخدام وسائل منع الحمل. ومن شأن هذه الجهود أن تساعد في منع حالات الحمل غير المخطط، وكذلك معاونة الأسر في تحقيق الحجم الذى تريده، وذلك من خلال توفير الدعم المالى والسياسى لبرامج الصحة الإنجابية ذات الحساسية الثقافية، والتي تلبى حاجات الزوجات والأزواج المسلمين.

المراجع

¹Abdel Rahim Omran, *Family Planning in the Legacy of Islam* (London: Routledge, 1992).

² United Nations, "Programme of Action Adopted at the International Conference on Population and Development, Cairo, 5-13 September 1994," *Population and Development 1* (New York: United Nations Population Fund (UNFPA), 1995): 9.

³ United Nations, *World Population Policies 2003* (New York: United Nations, 2004).

⁴ John Hopkins University Center for Communication Programs, "Birth Spacing: Three to Five Saves Lives," accessed online at www.infoforhealth.org/pr/l13edsum.shtml, on May 10, 2004.

⁵ ORC Macro, *Yemen Demographic and Health Survey, 1997* (Calverton, MD: ORC Macro, 1998): tables 4.6, 4.14, and 4.16.

⁶ Farzaneh Roudi-Fahimi, *Iran's Family Planning Program: Responding to a Nation's Needs* (Washington, DC: Population Reference Bureau, 2002).

تنويه

أعدت هذا الموجز فرزانة روى - فهيمى، أحد كبار محلى السياسة بالمكتب المرجعى للسكان، بالتعاون مع موظفى المكتب. ويجدر توجيه شكر خاص للأستاذ الدكتور جمال ابو السرور، وأحمد رجاء رجب، وميرفت محمود بالمركز الإسلامى الدولى للدراسات والبحوث السكانية بجامعة الأزهر، وكذلك الدكتورة مها العدوى بمكتب مؤسسة فورد التربوية فى القاهرة، الذين قاموا جميعا بمراجعة هذا التقرير وتقديم ملاحظات مفيدة حوله.

وقد كتب الدكتور عبد الرحيم عمران «*Family Planning in the Legacy of Islam*» «تنظيم الأسرة فى التراث الإسلامى» بدعم من صندوق الأمم المتحدة للسكان وبالتعاون مع عدد من المؤسسات الإسلامية فى سائر أنحاء العالم، بما فيها جامعة الأزهر بالقاهرة حيث تولى منصب مستشار أول للسكان فيها.

قام بتمويل هذا العمل مكتب مؤسسة فورد التربوية للشرق الأوسط وشمال أفريقيا فى القاهرة.

أعد الترجمة العربية: مركز الأهرام للترجمة والنشر، مؤسسة الأهرام طباعة: مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

© حقوق الطبع ٢٠٠٤ المكتب المرجعى للسكان

برنامج المكتب المرجعى للسكان فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا

إن هدف برنامج المكتب المرجعى للسكان فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا هو الاستجابة للاحتياجات الإقليمية للمعلومات والتحليلات الموضوعية والمناسبة زمنيا حول السكان والقضايا الاجتماعية - الاقتصادية، وقضايا الصحة الإنجابية. ويزيد البرنامج الوعى بهذه القضايا لدى صناع القرار فى المنطقة وفى المجتمع الدولى، على أمل التأثير على السياسات وتحسين حياة السكان المقيمين فى منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

وتتضمن أنشطة برنامج الشرق الأوسط وشمال أفريقيا: إنتاج ونشر الإصدارات المطبوعة والإلكترونية حول الموضوعات المهمة المتعلقة بالسكان، والصحة الإنجابية، والبيئة، والتنمية (والكثير من المطبوعات مترجم إلى العربية)، والعمل مع الصحفيين فى منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا لزيادة معلوماتهم وتغطيتهم لقضايا السكان والتنمية، والعمل مع الباحثين فى منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا لتحسين مهاراتهم فى نقل نتائج أبحاثهم إلى واضعى السياسة ووسائل الإعلام.

ويعتبر المكتب المرجعى للسكان رائدا فى توفير المعلومات الحديثة والموضوعية بشأن الاتجاهات السكانية الأمريكية والدولية ودالاتها. ويحتفل المكتب المرجعى للسكان فى عام ٢٠٠٤ بذكرى مرور ٧٥ عاما على تأسيسه.

دراسات موجزة للسياسة فى منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا:

الإسلام وتنظيم الأسرة (أغسطس ٢٠٠٤)

التقدم نحو أهداف الألفية الإنمائية فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا (مارس ٢٠٠٤)

نحو أمومة أكثر أمانا فى مصر (مارس ٢٠٠٤)

تمكين النساء، وتنمية المجتمع: تعليم الإناث فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا (أكتوبر ٢٠٠٢)

الصحة الإنجابية للمرأة فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا (فبراير ٢٠٠٣)

إيجاد التوازن: السكان وندرة المياه فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا (يوليه ٢٠٠٢)

برنامج تنظيم الأسرة فى إيران: استجابة لاحتياجات أمة (يونيه ٢٠٠٢)

الاتجاهات والتحديات السكانية فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا (أكتوبر ٢٠٠١)

وهذه الدراسات الموجزة متاحة بالإنجليزية والعربية، وتستطيع جماهير القراء فى منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا طلبها مجانا، وذلك بالاتصال بالمكتب المرجعى للسكان عن طريق البريد الإلكتروني (prborders@prb.org) أو على العنوان المذكور أدناه. وتوجد النصوص الإنجليزية على موقع الإنترنت الخاص بالمكتب المرجعى للسكان (www.prb.org).

خاتمة

يعتبر تنظيم الأسرة قضية صحية وإنمائية مهمة، وكذلك إحدى قضايا حقوق الإنسان. ولا تختلف الدول والمجتمعات الإسلامية عن باقى العالم، فهى تتطلع للوصول إلى أهدافها الإنمائية من خلال تحسين صحة النساء والأطفال فيها. ولا ينبغى اعتبار الإسلام عقبة أمام هذا المسعى. وتستطيع الحكومات والمنظمات غير الحكومية، وكذلك المجتمع الدولى للتنمية، دعم الإقبال المتزايد